

وكان له من فصاحة البدو وظرف الحضرة وقوة التفكير ، ما يشبه به بطليموس في الحكمة والمعرفة .

وذكر المتنبي في مديحه رسائل ابن العميد فوصف بلاغتها وجزالة ألفاظها ، فجعلها تفوق كل بلاغة وتعبي كل فصاحة ، وهي في بأسها وقوتها كذلك تقتل الأعداء قبل السلاح ، كما قال من قبله من الشعراء . والمتنبي كغيره يتمثل الفضلاء القدماء في شخص ممدوحه فيرى كأنهم عاشوا في عقله وبعثوا في برده من جديد ، فقد كانوا يجدون المثل الأعلى في الفكر والحكمة والعقل عند قدماء اليونان - كما قلنا .

وأما الشريف الرضي فقد مدح الصاحب إسماعيل بن عباد ، فرأى قلمه الماضي أجرى من العوالى ، وأجود منها ، فهو يحوك على القرطاس برداً منمماً :

لَاك الْقَلَمُ الْمَاضِي الَّذِي لَوْ قَرَنْتَهُ بِجَرَى الْعَوَالِي كَانَ أَجْرَى وَأَجْوَدًا
إِذَا انْسَلَّ مِنْ عَقْلِ الْبِنَانِ حَسْبَتُهُ يَحُوكُ عَلَى الْقُرْطَاسِ بَرْدًا مَعْمَدًا^(١)

وبذلك قرن قلمه بالرماح ، وشبه كتابته بالثياب الموشاة . وأما التهامي فقد مدح الوزير المغربي الداهية المشهور ، والكاتب الفحل فرأى في كتابته صفو الكلام وبين هو له وقوته :

تَقَلَّمْ أَقْلَامُكَ الْحَادِثَا تِ قَسْرًا وَتَمَّ نَابَ النَّوْبِ

وجعل حكمته موروثه من آبائه الفرس ، كساها الوزير لفظ قريش ، فجمع المعنى المحكم والأسلوب الرصين ، وكان في بيانه سيد الكتاب . وقد تطوّر مديح العلماء والكتاب على العصور ، فأصبح الشعراء يعددون أنواع المعرفة التي يجيدها الممدوح ، وبذلك أسفوا إلى درجة النظامين . فقال القادري يمدح السيوطي :

(١) العقل : السجن - الممد : المشي على هيئة العمدان .